

معارج البيان القرآني (6)

(إِبْلَعِي...وَغِيضُ)

هنا قلائد العقيان، تنتظم درره بدقة وإحكام، وتماسك وانسجام، في سلك هذا البيان!

(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَتَأَسَّمَاءُ أَفْلَحِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ)

توجه الأمر الإلهي للأرض ببلع مائها، والبلع يقتضي اختفاء الماء على وجه السرعة؛ فكان، ومقتضى منطق اللغة ومتوقع السياق والحال، في مقام الكلام أن يرد (واختفى الماء) أو (وَجَفَّ الْمَاءُ) .

لكنه العجب العجائب! ومدهش الألباب لفرسان الفصاحة وأساطين البيان؛ أن يرد على غير المتوقع إذ قال: (وَغِيضَ الْمَاءِ) والغيض نقصان ببطء وتمهل في معهود اللسان، فشد عقول المتدبرين لدقائق النظم؛ للوقوف على مفصل البلاغة في السبك والانسجام!

وذلك أنه- عز وجل- أمر الأرض ببلع مائها فكان، ولو استمر السياق على وفق المتوقع منه فقال: (واختفى الماء) لاختفت السفينة مع بلع الماء؛ لذا كان هناك بلع، وهنا على الجودي (وَغِيضَ الْمَاءِ) وهو نقصان ببطء تمهيدا للسفينة على الجودي للاستواء!